

الإمام عبد الرحمن بن القاضي المغربي
وجهوده في خدمة كتاب الله تعالى
- علم الرسم القرآني نموذجاً -

د. عبد الكريم بوغزالة

جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة

مقدمة:

إن علم الرسم القرآني من أهم العلوم المتعلقة بكتاب الله تعالى، فيه يعرف كيفية كتابة حروف المصحف كما كتبها الصحابة الكرام في جمع عثمان رضي الله عنه للمصاحف.

ولقد كان لعلماء المغاربة جهد كبير في هذا العلم الشريف، وذلك عن طريق تلك المصنفات البديعة التي أحيوا بها هذا العلم، وساهموا بها في الحفاظ الموعود من الله لكتابه الكريم.

ومن العلماء الذين كانت لهم اليد الطولى في هذا العلم: الإمام عبد الرحمن ابن القاضي المغربي.

الإمام عبد الرحمن بن القاضي المغربي وجهوده في خدمة كتاب الله تعالىأ. عبد الكريم بوغزالة
وإدراكا مني لأهمية ما كتبه ابن القاضي، والذي ظل حيس الخزائن
العامّة والحاصّة، أردت أن أظهر سريعا هذه الجهود المباركة، وقيمتها العلميّة،
مقدّما بالتعريف به رحمه الله تعالى.

المطلب الأول: التعريف بالإمام عبد الرحمن بن القاضي:

التعريف به:

هو عبد الرحمن بن أبي القاسم، ابن القاضي الفاسي، أبو زيد، ولد سنة:
999هـ، وربّي في حجر أبي المحاسن يوسف الفاسي. نشأ في عفاف وصيانة،
وحبب إليه القرآن وقراءته وتوجيهاته حتى صار معتمدا الناس فيها. طلب العلم
عن كثير منهم: محمد بن يوسف التاملي، وهو عمدته، وعن عبد الرحمن بن
عبد الواحد العباسي ثم السلجماسي، وعن أحمد العرائشي، وغيرهم. أخذ عنه
أبو زيد الفاسي الصغير وغيره.

بلغ الغاية في العلوم حتى وصف بأنه: "الإمام الفقيه المحدث الهمام،
النحوي الشهير، إمام القراء، وشيخ المغرب الشهير، وأستاذ الأساتيد، العالم
الكبير، الحافظ الحجة الحيسوبي". مات سنة: 1082هـ رحمه الله رحمة واسعة¹.

¹ ينظر: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أفر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن
جعفر الكتاني، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد
حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 253-252/2، وطبقات الحضيكي،
محمد بن أحمد الحضيكي، تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار
البيضاء المغرب، ط 1 سنة: 1427هـ/2006م، 402-401/2، والتقاط الدرر، ومستفاد المواعظ
والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، محمد بن الطيب القادري، تحقيق: هاشم
العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1403هـ/1983م،
188/1، وصفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، محمد بن الحاج بن محمد

الإمام عبد الرحمن بن القاضي المغربي وجهوده في خدمة كتاب الله تعالىأ. عبد الكريم بوغزالة
آثاره العلمية:

غزارة علم الإمام - خاصة في علوم القراءات - جعلته يثري المكتبة الإسلامية بكم هائل من التأليف النافعة المفيدة، وفيما يأتي بيان لبعض أسماء هذه المصنفات:

1. الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع.
2. إيضاح ما ينهم على الورى في قراءة عالم أم القرى.
3. القول الفصل في اختلاف السبعة في الوقف والوصل.
4. مقالة الأعلام في تخفيف الهمز لحمزة وهشام.
5. قرّة العين في معنى قولهم تسهيل الهمزة بين بين.
6. المنحة والتقريب في إمالة الكسائي لهاء التأنيث.
7. علم النصرّة في قراءة إمام أهل البصرة.
8. طبقات الصوفية¹.

المطلب الثاني: جهود الإمام عبد الرحمن بن القاضي في علم الرسم القرآني:

إضافة إلى علم القراءات ألف الإمام ابن القاضي في علم الرسم القرآني، بل كانت لمؤلفاته قيمة علمية كبيرة، وفيما يأتي بيان لهذه المؤلفات:

بن عبد الله الصغير الإفرائي، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدر البيضاء المغرب، ط 1 سنة: 1425هـ/2004م، ص 291-292.

¹ سلوة الأنفاس 2/252-253، وطبقات الحضيكي 2/401-402، والتقاط الدرر 1/188، وصفوة من انتشر ص 291-292، وتاريخ القراءات في المشرق والمغرب، محمد المختار ولد آياه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3 سنة: 2008م، ص 543.

الإمام عبد الرحمن بن القاضي المغربي وجهوده في خدمة كتاب الله تعالىأ. عبد الكريم بوغزالة
• بيان الخلاف بين الخلاف والتشهير والاستحسان وما أغفله مورد
الظمان، وما سكت عنه التنزيل ذو البرهان وما جرى به العمل من خلافيات
الرسم في القرآن وربما خالف العمل النص فخذ بيانه بأوضح برهان.

بداية الكتاب: " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه:

هذا بيان الخلاف والتشهير والاستحسان وما أغفله مورد الظمان، وما
سكت عنه التنزيل ذو البرهان وما جرى به العمل من خلافيات الرسم في القرآن
وربما خالف العمل النص فخذ بيانه بأوضح برهان لشيخنا الأستاذ المحقق
الفقيه النحوي اللغوي الزاهد الورع المؤيد النبيل: عبد الرحمن ابن القاضي
الفاسي نفعنا الله ببركاته وبأمثاله آمين يا رب العالمين. اعلم رحمننا الله وإياك أن
متابعة مرسوم الإمام أمر واجب محتتم على الأنام كما نص عليه الأئمة الأعلام،
فمن حاد عنه فقد خالف الإجماع، ومن خالفه فحكمه في الشرع الشريف بلا
نزاع بلا فائدة في الطول والإكثار، بل قصدنا غاية الاختصار، قال السيوطي في
الإتقان: " قال الإمام أحمد تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو
ألف أو غير ذلك، وقال البيهقي في شعب الإيمان: من كتب مصحفا فينبغي له
أن يحافظ على الهجاء الذي كتب به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير
مما كتبه شيئا فإنهم كانوا أكثر علما، وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة منا فلا
ينبغي أن نصرف أنفسنا استدراكا عليهم..."¹.

¹ بيان الخلاف، بيان الخلاف والتشهير والاستحسان وما أغفله مورد الظمان، وما سكت عنه
التنزيل ذو البرهان وما جرى به العمل من خلافيات الرسم في القرآن وربما خالف العمل
النص فخذ بيانه بأوضح برهان، عبد الرحمن ابن القاضي، مخطوطة مصورة عن نسخة جامعة
الملك سعود بالرياض، السعودية، برقم: 411.61 ب ق، الرقم العام: 7240، ق/1.

الإمام عبد الرحمن بن القاضي المغربي وجهوده في خدمة كتاب الله تعالى أ. عبد الكريم بوغزالة
ثم نقل عدة نصوص عن العلماء في الموضوع نفسه، ثم شرع في ذكر
مسائل في الضبط ثم ذكر ما استدركه على الخراز في الرسم كلمة كلمة. فمن
ذلك مثلاً:

1. ﴿الحمد لله﴾ [سورة الفاتحة: 2] تجعل الصلة تحت الألف لورش
وغيره لاجتماعهم على البسمة فافهم¹.
2. . ﴿الم﴾ الذي به العمل ضبط فواتح السور، وقال الداني في
المحكم: " حروف التهجي الذي في أوائل السور المختلف في قراءتها لا
بدّ من ضبطها..."².
3. (ينفق) العمل في حروف ينفق إذا تطرفت عدم النقط، وعليه اقتصر
في المحكم، والعمل في الياء المهموزة³.
4. ﴿ونادينا﴾ [سورة مريم: 52] بحذف الألف في التنزيل من غير
خلاف وأغفله صاحب المورد⁴.

سبب تأليف الكتاب:

لما ألف الإمام الخراز نظمه مورد الظمان⁵ لبيان مسائل الرسم عن أئمته
المعتبرين: الداني وأبي داود والشاطبي والبلنسي، قال:
وكل ما قد ذكره أذكر من اتفاق أو خلاف أثروا⁶

¹ بيان الخلاف، ق/2-أ.

² بيان الخلاف، ق/2-ب.

³ بيان الخلاف، ق/2-ب.

⁴ بيان الخلاف، ق/5-ب.

⁵ مورد الظمان في رسم أحرف القرآن، منظومة للإمام محمد بن إبراهيم الخراز، في علم
الرسم القرآني، جمع فيها كتب من سبقه من الأعلام كالداني وأبي داود والبلنسي والشاطبي.

⁶ دليل الحيران على مورد الظمان، إبراهيم بن أحمد المارغني، دار الكتب الجزائر، ص 33.

الإمام عبد الرحمن بن القاضي المغربي وجهوده في خدمة كتاب الله تعالىأ. عبد الكريم بوغزالة
تخلف له هذا الأمر في كثير من الأحيان، خاصة في نقله عن الإمام أبي
داود سليمان بن نجاح في كتابه التنزيل، إذ أغفل الخراز كثيرا من الكلمات التي
ذكرها أبو داود في كتابه، مما استدعى الإمام ابن القاضي أن يستدرك على الإمام
محمد بن إبراهيم الخراز في نظمه، الذي هو عمدة أهل الفن منذ ألف هذا النظم
البديع الجامع الذي انتشر في الآفاق، وصار قبلة المتخصصين في هذا الفن،
وهجر الناس بعد هذا النظم كتب أبي داود والداني والشاطبي، ذكر ذلك الإمام
ابن خلدون في مقدمته¹.

قيمة الكتاب العلمية:

للكتاب أهمية بالغة، وقيمة علمية كبيرة، وسبب ذلك أمور كثيرة نذكر
بعضها:

1. إمامة مؤلفه في علم القراءات عموما وفي فني الرسم والضبط خصوصا.
2. الكتاب سد خلل وأكمل نقص كثير من المسائل التي أغفلها الإمام
الخراز في منظومته مورد الظمان.
3. النقول الكثيرة التي نقلها عن أئمة الفن التي عضد بها المؤلف كلامه،
وخاصة تلك النقول عن كتب صارت اليوم في عداد المفقود، مثل نقله عن
المنصف للإمام أبي الحسن البلنسي، أو التي لا تزال كتبها مخطوطة ولم تطبع
كالميمونة للقيسي والدرة لميمون مولى الفخار وغيرهما.
4. ذُكر المؤلف لما جرى به العمل في كثير من المسائل الخلافية، ونقده
لكثير من الأوجه الضعيفة رسما، ومن أمثلة ذلك:

1 مقدمة العلامة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر، بيروت لبنان، ط 1 سنة:
1423هـ/2003م، ص 420.

الإمام عبد الرحمن بن القاضي المغربي وجهوده في خدمة كتاب الله تعالى أ. عبد الكريم بوغزالة
- قوله: ﴿القهار﴾: العمل بالإثبات، ووقع في بعض نسخ التنزيل بالحذف¹.

- قوله: ﴿أفاتخذتم﴾ [سورة الرعد: 16] العمل بالألف وهو المشهور².
- ﴿رؤياي﴾ [سورة يوسف: 43، 100] معا بالحذف، وما يفعله الناس من حذف الأول وإثبات الثاني باطل لا أصل له³.

5. جمع كثير من الأحكام في أبيات شعرية من عنده مما يسهل حفظها.
ومن أمثلة ذلك:

- عندما تكلم على ﴿رؤياي﴾ معا بالحذف، قال: "ولنا:
رؤياي بالحذف على الإطلاق في سورة الصديق باتفاق⁴
- وعندما تكلم على : ﴿جزاء الحسنی﴾ [الكهف: 88] قال: "والمشهور
إثبات الألف والهمزة في السطر، قال في التنزيل وبه أكتب، وإليه أشرنا:
في الكهف مع طه بغير الواو في زمر بالواو قال الراو⁵".

6. توجيهه لكثير من أوجه الرسم القرآني، ومن ذلك مثلا: قوله: ﴿زاكية﴾
[سورة الكهف: 74] العمل بالحذف، وهو المشهور لقراءته عامر بغير ألف⁶.

7. تذييل المؤلف كتابه بقصيدة جمع فيها ما استدركه على مورد الظمان
في خمسة وثمانين بيتا وسنفرد الحديث عنها بعد هذا الكتاب.

¹ بيان الخلاف، ق/5-أ.

² بيان الخلاف، ق/5-أ-ب.

³ بيان الخلاف، ق/5-أ.

⁴ بيان الخلاف، ق/5-أ.

⁵ بيان الخلاف، ق/5-ب.

⁶ بيان الخلاف، ق/5-ب.

الإمام عبد الرحمن بن القاضي المغربي وجهوده في خدمة كتاب الله تعالىأ. عبد الكريم بوغزالة
وللكتاب نسخ خطية كثيرة بحوزتي منها نسختان الأولى من المكتبة
الوطنية بالحامة الجزائر برقم: 389، والثانية من جامعة الملك سعود بالرياض،
برقم: 411.61 ب ق، الرقم العام: 7240.

• أرجوزة فيما أغفله الخراز في مورد الظمان. 486/2.

القصيدة في: خمسة وثمانين بيتا، نظم فيها الإمام ابن القاضي الكلمات
التي أغفلها الخراز في نظمه مورد الظمان عن أبي داود سليمان بن نجاح في
كتابه التنزيل، مع أن صاحب التنزيل ذكرها.

بداية القصيدة:

وهاك ما حذف في التنزيل وليس في المورد خذ تفصيل
الجاهلية الأيامى واحده حاججتم رؤياي خذه فائده¹

نهايتها:

بالسوء في الصديق والنبي معا لدى الأحزاب يا صفئي
بالهمز في الوقف لقالون ورد فاقراً به ورُدَّ قول من جحد
ولا تضع في ضبطه شدا ولا شكلا لفقد مدغما به حلا
وجوده لدى النبي حتما شداً وشكلا مطلقا فرقا سما²

• الجامع المفيد لأحكام الرسم والضبط والقراءة والتجويد: منه نسخة
مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط المغرب رقم: 3/74 ضمن مجموع³.

¹ بيان الخلاف، ق/6-ب.

² بيان الخلاف، ق/8-أ، ولي نسخة خطية بذييل بيان الخلاف المصورة من جامعة الملك
سعود بالرياض.

³ ينظر: سفير العالمين في إيضاح وتحرير وتحبير سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب
المبين، جمع وتأليف وتعليق: أشرف محمد فؤاد طلعت، مكتبة الإمام البخاري، مصر، ط 2
سنة: 1426هـ/2006م، 87/1.

الإمام عبد الرحمن بن القاضي المغربي وجهوده في خدمة كتاب الله تعالى أ. عبد الكريم بوغزالة

• الأجوبة المنظومة والمنثورة في أحكام الضبط والرسم¹: وللكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم: 14/4626 عن نسخة الخزانة العامة بالرباط.

• رسالة في وجوب إتباع مرسوم الإمام في المصاحف².

• منظومة على رسم المكي في القرآن³.

أولها:

الحمد لله الكريم المنان المانح الفضل أهل القرآن

وآخرها:

والحمد لله على التمام شكره دأبا على الإنعام

وآله وصحبه الأخيار ما كور الليل على النهار

• تقييد فيما يلتبس من رسم المكي⁴.

¹ ينظر: سفير العالمين 87/1.

² ينظر: الفهرس الشامل رسم المصاحف ص 86، وسفير العالمين 87/1.

³ ينظر الفهرس الشامل رسم المصاحف ص 87، 88، والقراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1410هـ/1990م، ص 107، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل، أبو داود سليمان بن نجاح، دراسة وتحقيق: أحمد بن معمر شرشال، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية بالتعاون مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض، ط 1 سنة: 1423هـ/2002م، 190/1، وسفير العالمين 87/1.

⁴ ينظر الفهرس الشامل رسم المصاحف ص 86، والقراء والقراءات بالمغرب ص 107، وسفير العالمين 87/1، ومنه مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة، رقم: 2/4086 عن نسخة دار الكتب الوطنية تونس.

الإمام عبد الرحمن بن القاضي المغربي وجهوده في خدمة كتاب الله تعالى أ. عبد الكريم بوغزالة
• شرح على منظومة رسم المكي: لأبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان
البوزيدي¹.

وفي الختام نخلص إلى أن: الإمام عبد الرحمن ابن القاضي إمام في علوم
القراءات، وعلى وجه الخصوص علم الرسم القرآني الذي أبدع فيه أيما إبداع،
وأثرى المكتبة الإسلامية بهذه الجهود المباركة التي تعين على المحافظة على
خط المصحف الذي كتب به الصحابة الكرام المصحف التي أمر الخليفة
الراشد: عثمان بن عفان بجمعها.

¹ ينظر: القراء والقراءات بالمغرب ص 116، وسفير العالمين 87/1.